... قَلْبي يُحبُّ مُحمّداً...

وفي سياق الحديث عن فضائل المصطفىٰ ﷺ ومقامه العالي ، نتوقف هنا عند طاعة الجمادات له صلوات الله عليه ، مثال ذلك :

استجابة جبل أحد : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فرجف بهم ، فضربه برجله ، وقال : «اثبت أحد ، فما عليكَ إلاّ نبيٌّ أو صدّيق أو شهيدان»[1] .

ومثله : استجابة جبل حراء ، وكذلك جبل ثبير في مكة .

ورحم الله القاضي أبا بكر ابن العربي عندما قال : إنما اضطربت الصخرة ورجف الجبل استعظاماً لما كان عليه من الشرف ، وبمن كان عليه من الأشراف[2] .

ورحم الله ابن المنير عندما قال : الحكمة في ذلك أنه لما ارتجف الجبل ، أراد النبيّ ﷺ أن يُبيّن أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسىٰ عليه السلام لمّا حرّفوا الكلم ، فتلك رجفة الغضب ، وهذه هزّة الطرب ، ولهذا نصّ علىٰ مقام النبوة والصديقية والشهادة ، التي توجب سرور ما اتصلت به ، فأقرّ الجبل بذلك ، فاستقر[3] .

مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا

---

(١) مسند أحمد : ٥/ ٣٣١ .

(٢) عارضة الأحوذي : ١٣/ ١٥٤ .

(٣) إرشاد السّاري : ٦/ ٩٧ .

فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ومثلها انشقاق القمر[1]، وذلك عندما طلب كفّار قريش من رسول الله ﷺ ـ وهم متعنّتون ـ أن يريهم آية، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأشار إلىٰ القمر فانشقّ إلىٰ فلقتين، فقال لهم: «اشهدوا»، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ١ ـ ٥].

أجل يا أبا القاسم يا رسول الله!

لقد أطاعتك الجمادات والنباتات والحيوانات العجماوات، فكيف لا يُطيعك الإنسان الذي وهبه الله العقل والإدراك؟.

إني امرؤٌ قلبي يحبّ محمّداً ... ويلومُ فيه لائماً وعذولا
أأحبّه وأمَلُّ من ذكري له ... ليس المحبّ لمن يحبّ ملولا

* * *

(١) صحيح مسلم: (٤٦).